

محاضرة:

الحضارة الرومانية

تمهيد:

تعدّ الحضارة الرومانية من أهمّ الحضارات التي أنتجتها الإنسانية، فقد تركت موروثا ساهم في تطور الفكر الإنساني. ويعود أصل الرومان إلى عدّة قبائل هاجرت من شرق أوربا إلى شبه الجزيرة الإيطالية حوالي 1200 ق.م، وأبرزهم الإيطاليون وإليهم نُسبت شبه الجزيرة. وقاموا بتأسيس مدينة روما القديمة و التي كان لها الأثر الكبير في تطور الحضارة الغربية. فقد كانت قوانينها الأساس الذي استندت عليه شرائع و أنظمة الدول الأوروبية. كما كانت لغة الرومان قديما و هي اللاتينية أساسا للفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية، والإيطالية.

1- تأسيس روما: أسّس السكان ممالك صغيرة، وسعيا منهم إلى المحافظة على كيان هذه الممالك، و بحثا عن التوسع دخلوا في عدة حروب، والشائع أنّ تأسيس روما كان حوالي 753 ق.م. وأهمّ ما تُجمع عليه الروايات أنّ " روميلوس " أسّسها رفقة أخيه " ريموس " وكانا من سلالة " إينيوس ". ثم تُشير الأساطير إلى أنّ روميلوس قتل أخاه ريموس في أثناء مشاجرة وقعت بينهما. و أخذ بعد ذلك يعمل على تعمير المدينة التي قام بتخطيطها، و التي عُرفت باسمه " روما ". و جلب إليها السكان بالحيلة تارة، و بالقوة تارة أخرى. ثم أخذ يعقد الاتفاقات مع القبائل المجاورة وكان من أهمّها قبيلة السّابينوس أو السابان.

2- نظام الحكم:

خضعت روما للنظام الملكي في أواخر القرن السابع قبل الميلاد. فقد حكم روما من بعد روميلوس ملوك تولوا الرئاسة بحكم الانتخاب لا الوراثة. وكان حكمهم الذي اصطبغ باللون

العسكري يستند إلى دعائم راسخة قوية، أهمها نظام أسري قوي، وروح ديمقراطية استشارية، تمثلت في الهيئتين اللتين خُلقتا للحد من سلطة الملك وهما:

أ - مجلس الشيوخ: وكان يضم رؤساء الأسر الذين يختارهم الملك، ثم ضم الفرسان والمزارعين حتى بلغ عدد أعضائه الثلاثمائة.

ب - الجمعية والتي تضم عددا من الأسر.

وتؤكد الروايات أن سابع ملوك روما " تركوينوس " حكم روما حكما استبداديا ظالما فأجمع السكان على محاربتة وهزموه عام 510 ق.م لينتهي عهد الملكية ويقوم النظام الجمهوري مكانها، وأسندت اختصاصات الملك إلى قنصلين يعينان بالانتخاب لمدة سنة واحدة. مهمتهما قيادة الجيوش والإشراف على إدارة الدولة.

واستمر الحكم الجمهوري إلى سنة 37 ق.م حيث قام النظام الإمبراطوري الذي دام إلى سقوط روما في الغرب سنة 476 م، وفتح القسطنطينية سنة 1453م في الشرق، ويبدأ النظام الإمبراطوري بتغلّب " يوليوس " الذي لم يلبث أن استولى على السلطة لا في روما فحسب بل في كل أنحاء الإمبراطورية، فتكون روما بذلك قد شهدت النظام الملكي ثم النظام الجمهوري ثم النظام الإمبراطوري.

3- الدين: عرف الرومان كغيرهم من الشعوب قديما عبادة الوثنية وقد عبدوا عدة آلهة. ولما ظهرت المسيحية قاوموها بشدة إلى غاية القرن الرابع الميلادي حيث تم الاعتراف بحرية ممارسة الشعائر المسيحية.

4- الأدب: تُعد الحضارة الإغريقية المصدر الأساسي للأدب والفلسفة والعلم عند الرومان، ومع ذلك يمكن ملامسة الطابع الروماني الخاص والحياة الرومانية متمثلة في نتاج الرومان الأدبي حيث تتمثل فيه الحياة الرومانية منذ أقدم أطوارها في العهد الجمهوري إلى تأسيس الإمبراطورية واتساعها.

ومن الواضح أن لبداية الشعر اللاتيني علاقة متينة بالأدب الإغريقي ويبدو ذلك بوجه خاص في أول نتاج الأدب الروماني الذي ظهر بإلهام من "هوميروس" وبتأثير التراجيديات الإغريقية وهكذا كان أول نموذج للأدب الروماني الذي يمثله الشاعر "إينيوس" (239 - 169 ق.م) واستمر الشعراء اللاتين يحتذون أمثلة الأدب الإغريقي ويظهر ذلك في روايات بعض الشعراء الكوميديين مثل "فلوطس" (254 - 184 ق.م). واستعار شعراء الشعر الغنائي مثل "كاتلوس" و"هوراس" الطرق الفنية المتبعة في الشعر الإغريقي وأسس الشاعر "لوقريشيوس" فلسفته على فلسفة "أبيقور" وعلمه على علم "ديموقريطس". ومع ذلك فإن الشعراء اللاتين لم يقتصر أمرهم على تقليد أسلافهم من الشعراء الإغريق، بل جعلوا ما اقتبسوه جزءا خاصا بهم، واستعملوه في تصوير الحياة الرومانية، فأصابوا حظا من الإبداع والأصالة جعلهم في مصاف أسلافهم.

5- العمارة: بدأ الرومان منذ عهد "أوغسطس" في تزيين عاصمتهم بأبنية جميلة تعبر عن سلطانهم وتدل المباني التي شيدها الرومان على النواحي التي احتتموا بها وعلى حاجاتهم. فالمباني التي خلفوها في العاصمة وفي مدن الأقاليم المهمة تتحصر بالدرجة الأولى في المعابد والحمامات العامة، والمحاكم وأبنية الملاهي والمسارح، ومدارج الألعاب. ومع اختلاف هذه المباني في الوظيفة فقد كانت تتصف بأوصاف عامة من فن العمارة مما جعل المدينة الرومانية تتصف بالإتساق والتناسق الفني. وعلى الرغم من أن الرومان كانوا مقتبسين في فن العمارة غير مبدعين إلا أنهم استطاعوا تكييف وتمثيل ما اقتبسوه إلى حاجتهم الخاصة، فقد كان الرومان مهندسين أعظم منهم بنائين، وإلى ذلك كانت عمارتهم أضخم وأروع مما أنتجه معلموهم الإغريق.

6- النحت: معظم ما وصل من النحت الروماني نسخ من المنحوتات الإغريقية المشهورة، ولكن يمكن ملاحظة الإبداع والأصالة في بعض المواضع، ويظهر هذا الإبداع في التماثيل النصفية التي يظهر فيها التعبير الواقعي، وهي ميزة لا نجدها في النحت الإغريقي، ومثل

ذلك يقال في تماثيل الأشخاص بوجه عام، كما أبدع الرومان أيضا في استعمال النحت البارز للزخرفة والزينة.

7- النقش: خَلَفَ الرومان أمثلة لنقشهم من النقوش الجدارية في البيوت الخاصة ولا سيما ما وُجِدَ في "بومبي" ومما يقال في النقش الروماني بوجه الإجمال إنه مستعار من الفن الإغريقي.

8- التجارة: وقد ازدهرت التجارة في الإمبراطورية الرومانية وتوفرت لهذا الازدهار عوامل تقنية. فقد كانت الإمبراطورية مترامية الأطراف ذات إنتاج متنوع ومحاصيل زراعية مختلفة وأساليب صناعية متبانية. وقد أنشأت الدولة شبكة من الطرق وتعهّدها بالصيانة والرعاية كما اعتمدت الحركة التجارية على النقل البحري فقامت الأساطيل.

كل هذه العوامل سهلت التبادل التجاري بين الرومان وما جاورهم من الأمم.

وما تجب الإشارة إليه في الأخير هو أنّ الإمبراطورية الرومانية قامت بالاعتماد على خبر وتجارب بشرية سابقة، وكانت ترمي إلى دمج أقاليم وأقوام كثيرة متنوعة تحكمها دولة مركزية قوية.